



تمظهرات العنف في الرواية العربية المعاصرة (النفي - المحو - الإنتهاك)

Manifestations Of Violence In The Contemporary Arab Fiction

Exile - Erasing - Violation

الباحثة

م. د. ماجدة هاتو هاشم

Lecturer. Dr. Majida Hatto Hashim

وزارة التربية - معهد الفنون الجميلة للبنين

الرصافة الأولى

dr. majedahatto@yahoo.com

07707122257



Abstract:

The phenomenon of violence occupied a wide space in Arabic and Western fiction alike, as it occupied other fields of knowledge such as philosophy, sociology, psychology, and many others, particularly at the turn of the last century and the early twenty-first century, because the phenomenon of violence has become a threat to human existence, and then it was the central theme in contemporary Arabic fiction.

I stand in the research of the causes of violence, including political, religious, and social ones, as well as a brief definition of contemporary fiction. While the three research topics deal with the manifestations of violence in contemporary fiction: Exile - Vanishing (Disappearance) - violation, followed by a conclusion that includes the research results, and finally a list of sources and references.

Keywords: Violence, Contemporary fiction, Exile, Vanishing, Violation.

* * *

ملخص البحث

تمظهرات العنف في الرواية العربية المعاصرة (النفى - المحو - الإنتهاك)

شغلت ظاهرة العنف حيزاً واسعاً في الرواية العربية والغربية على حد سواء، مثلما شغلت الحقول المعرفية الأخرى كالفلسفة وعلم الاجتماع وعلم النفس وغيرها كثير، ولا سيما في نهاية القرن الماضي وبداية القرن الحادي والعشرين، وذلك لأن ظاهرة العنف باتت تهدد بالخطر الوجود الإنساني، ومن ثم كانت الموضوع الأساسي في الرواية العربية المعاصرة.

وقفت في البحث على أسباب العنف ومنها السياسية والدينية والاجتماعية، وكذلك تعريف موجز بالرواية المعاصرة، على حين جاءت مباحث البحث الثلاثة عن تمظهرات العنف في الرواية المعاصرة وهي: النفي - المحو - الإنتهاك، تلتها خاتمة تضمنت نتائج البحث، وأخيراً قائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: العنف، الرواية المعاصرة، النفي، المحو، الإنتهاك.

* * *



وليس ببعيد عنها الفنون المجاورة كالفنون التشكيلية، على النحو الذي ظهر في بعض أعمال بيكاسو مثل لوحة الغارنيكا التي صورت فظاعة الحرب الأهلية الإسبانية، كذلك ظهور مسرح القسوة، أو الافلام السينمائية التي تعتمد العنف كقيمة أساسية لبنائها كأفلام الرعب، أو أفلام النوار، وغيرها من الأفلام التي تصور أو تنقل مشاهد التعذيب وغيرها.

وقد كان حظ الرواية كبيراً من هذه الظاهرة، فطبعتها بصبغة سوداوية وانسداد نهايات المتخيل الروائي المتمثلة بالنفي والابعاد والجنون، أو الاقصاء، أو المحو الجسدي، أو الانتهاك، فباتت تضح بمشاهد القتل والتعذيب وسفك الدماء، وكل أشكال العنف، للحد الذي يمكننا القول فيه إن الرواية نفسها تمارس العنف ذاته على القارئ أو المتلقي على حد سواء.

ولعل من المفارقات التي يمكننا أن نقع عليها إن كثيراً من الروائيين أنفسهم أصبحوا ضحية العنف الذي قد يتعرضون له، فراحوا يلجأون إلى عوالم تاريخية (ماضية) متخيلة وتصويرها فضاءً للحكي، أو حتى الهجرة إلى الواقعية السحرية أو التغريب، أو غيرها من التقنيات التي تنأى بهم عن عنف السلطة.

إن انسداد النهايات أو الأفق بات سمة بارزة، وهو الأمر الذي يدعونا للقول بأن هذه النصوص (ولا سيما المعاصرة منها) باتت وكأنها مصابة بعقدة (الجيرو فويبا) خوف الابتهاج، وصحيح أنها كشفت

تمظهرات العنف في الرواية العربية المعاصرة (النفي - المحو - الانتهاك)

«إننا نعيش في عالم يغلب عليه العنف وإذا
أملنا في فهمه... يلزمنا القيام بمعاينة نقدية له.»
إزيا برلين

ضلع الإنسان الأعوج فصول في تاريخ الأفكار

تقديم

لم تشغل ظاهرة في الرواية العربية والغربية على حد سواء، كالذي شغلته ظاهرة العنف، إذ استأثرت هذه الظاهرة، ومنذ نهايات القرن المنصرم وبداية القرن الحادي والعشرين اهتماماً متزايداً، لا على صعيد المتخيل الروائي أو المدونة السردية فحسب، بل على الأصعدة كافة كالعلوم النفسية وعلم الاجتماع والفلسفة، ذاك أن هذه الظاهرة (أي ظاهرة العنف) باتت تهدد بالخطر الوجود الانساني برمته، فلا عجب أن تغدو الموضوع الأساسي في المدونة السردية، ولا سيما في الرواية العربية المعاصرة.

الطويل“^(١). فغالباً ما تسعى الانظمة السياسية إلى زيادة أدوات العنف المستخدمة من أجل بسط السلطة وفرض الهيمنة، ولا سيما في البلدان ذات الانظمة الدكتاتورية، والايديولوجيات المغلقة التي تحكم على معارضيهها بالاقصاء والنفي والمحو الجسدي، وتأتي أيضاً الحروب والحروب الأهلية والإبادة الجماعية والاقتيال الأثني والعربي، والممارسات العنصرية التي تقوم بها الانظمة القائمة كشكل آخر من أشكال الأسباب السياسية، التي تقف خلف ظاهرة العنف في الرواية المعاصرة بشكل عام والعربية منها بشكل خاص .

ب- الأسباب الدينية: لعل من المفيد القول إن الأديان السماوية، بل وحتى غيرها من الأديان والمعتقدات لا تحمل في ثنايا تعاليمها طابع العنف، بل إنها تميل إلى نشر سمة التسامح كقيمة عليا بين البشر، يقول سلافوي جيچك إن الدين ” لا علاقة له البتة بالعنف الإرهابي الذي يمارسه الأصوليون الدينيون الذين يزعمون القيام بالارهاب باسم الله وبأنهم أدوات في يد المشيئة الإلهية“^(٢)، ولذا فإن ”الممارسات العنيفة“ التي تقترن بالجماعات المتطرفة لا علاقة لها بالدين لا من قريب ولا من بعيد، بل إن جميع هذه الجماعات جعلت من الدين ملاذاً لتسويغ ما تقوم به من إفراط في العنف .

وباستثناء ”الممارسات العنيفة“ للجماعات المتطرفة، فإن هناك وجه آخر من وجوه هذه الأسباب، وهو الاقتتال الطائفي أو المذهبي، إذ «يتحول هذا الاختلاف المذهبي في الدين الواحد إلى مسوغ

سوداوية الواقع والأزمة التي تمر بها هذه المجتمعات أو تسجل الراهن، أو أنها جاءت تعبيراً عن المسكوت عنه، إلا أنني أجد أنها في الوقت نفسه اسهمت في جعل المدونة السردية، ولا سيما الرواية المعاصرة أكثر تشاؤماً وعنفاً من العنف نفسه .

وإذا كنا سابقاً نقول إن ما يحكم الرواية هو الثالث المحرم الدين والجنس والسياسة، فإنني أجد الموضوعات التي شغلت الرواية المعاصرة هي العنف والآخر والهوية، وقولي هذا لا يعني إنتفاء الثالث المحرم، لكنني أعني إنها أبرر الموضوعات التي شغلت الرواية المعاصرة . ولعل هذا ما دعاني إلى دراسة هذه الظاهرة وتمظهراتها فيها عبر مباحث ثلاثة وهي النفي والمحو والانتهاك، سبقهما مهاد نظري .

وقبل أن نتعرف إلى هذه المباحث علينا أن نقف عند أسباب هذه الظاهرة في الرواية العربية المعاصرة، فضلاً عن مفهوم الرواية المعاصرة، وهذا ما سيكون مدار اشغال المهاد النظري*.

• المهاد النظري

أولاً: أسباب العنف في الرواية العربية المعاصرة

مما لا شك فيه إن لظاهرة العنف في الرواية المعاصرة أسباب عدّة، وعلى الرغم من أن كثير من المصادر تشير إلى أسباب مختلفة، إلا أنني يمكن أن أرد هذه الأسباب إلى :

أ- الأسباب السياسية : وتقف في مقدمة الأسباب، إذ ”تحققت العلاقة الخاصة بين الدولة أو النظام السياسي واستعمال العنف عبر التاريخ السياسي



إن القول بهذه الأسباب لا يعني الاقتصار عليها كأسباب لظهور العنف في الرواية المعاصرة، بل يعني أنها أكثر الأسباب التي تركت آثارها عليها، بل جعلت الرواية تمر بمنعرج لا سابق له في تصوير آثار هذا العنف نفيًا ومحوًا وانتهاكًا، وهي أكثر أشكال تمظهرات العنف في الرواية العربية المعاصرة، التي سنقف عليها بالتفصيل عبر دراسة أنواعها وأشكالها وعبر نماذج مختارة من الرواية العربية المعاصرة، لاستحالة تغطية جميع نماذجها في المشهد الروائي العربي.

ثانياً: في مفهوم الرواية المعاصرة

قبل أن أعرض لتمظهرات العنف في الرواية المعاصرة لا بد لي من أن أقف عند تحديد مفهوم الرواية المعاصرة بياجاز شديد وماذا أعني بها على وجه التحديد، أعني بالرواية المعاصرة تلك النصوص التي شهدت تحولاً كبيراً رفضاً أو تمرداً على الأسس الجمالية وطرائق السرد التي كانت سائدة، فضلاً عن طرحها مضامين مختلفة - التي تصفها الناقدة سوزان سونتاغ بأنها تحمل الحساسية الجديدة - وتبدأ منذ منتصف الستينيات، ولا سيما بعد حرب عام ١٩٦٧ وحتى يومنا هذا، على أن قولي بالتحديد الزمني لا يعني إن كل ما أنتج يندرج تحت التوصيف ذاته، وإنما تعني بداية لمؤشرات ظهورها^(٧).

بقي أن أشير إلى مسألة مهمة وهي إن أسباب العنف الذي سبق ذكرها في الفقرة (أولاً) في المهاد النظري، يمكن لها أن تقف (جميعها أو أحدها) خلف أحد أو جميع تمظهرات العنف في الرواية المعاصرة، وهي النفي، المحو، الانتهاك.

لاستعمال العنف ضد الآخر، سواء أكان هذا الآخر المخالف من الدين نفسه أو من دين آخر^(٣)، وكل ذلك وجد طريقه إلى الرواية العربية المعاصرة.

ج- الأسباب الاجتماعية: لا تقل الأسباب الاجتماعية أهمية عن الأسباب الأخرى، وأعني السياسية منها أو الدينية، بل أشدها خطورة، وصحيح إن "تاريخ البشرية كله يبين لنا إن المجتمعات البشرية استخدمت وسائل عنف قدرة لتحقيق أهدافها وبالغت في استخدامها"^(٤)، إلا إن البشرية تشهد عنفاً لا مثيل له، ولعلي لا أعالي إذا ما قلت إنها لم تشهده في تاريخها كله، فبتنا نشهد "الإمعان في العنف، وهو الاستمتاع بالعنف الذي يشمل القتل والاستعداد له فيستمتع الجناة بأعمال العنف ..."^(٥)، وزيادة على ذلك "أضحى عالمنا المعاصر مرادفاً للعنف بأشكاله كافة، فأصبحنا نعيش على وقع أصوات الانفجارات والقصف الجوي، وإطلاق النار العشوائي والتهجير القسري والخطف والاختلال الداخلي والموت غرقاً في قوارب الموت لا النجاة"^(٦)، وكل ذلك سنجده بوضوح في المدونة السردية بشكل عام، وفي الرواية العربية المعاصرة بشكل خاص.

ولعل واحداً من أشكال العنف الاجتماعي هو التسلط الذكوري وتبعاته وهذا ماظهر بحدة في الرواية النسوية على وجه الخصوص التي عمدت لمواجهة هذا التسلط وكشف زيفه والعمل على تقويضه، وهدم التمرکز حوله، كشكل من أشكال مقاومة عنف هذا التسلط.

يقول: "أريد اسماً، أقرب لذاتك، .. سمني ما شئت .. (حزين تعيس .. بئس) فقط لا تدعني أتوارى خلف اسمك المزيف هذا؟ أعطني اسماً ولنجعلها سابقة لتوافق الذات والنفس"^(٨).

إن الرغبة في التخلي عن الاسم بسبب من الحوادث التي يصادفها كل من سعيد المسلم وسعيد المسيحي وسعيد اليهودي، إذ يدفع كل هؤلاء ثمن الاختلاف في الهوية الدينية، ما يعني إن الارهاب لا يستثني أحداً، وهذه الظروف هي ما جمعتهم في النهاية ذاتها، وهي الهروب من جحيم العراق - بحسب ما عبرت الرواية عنه - إذ تنتهي قصة كل واحد منهم وهو يهيم بالسفر بالطريقة نفسها، يقول السارد: "أنت ببساطة لأحد، كما قلت ل تارا عندما كنت تجثو على ركبتك لتسامحك . إذهب هناك ... إلى مرآب السيارات المتجهة إلى عمّان، هناك قرب نادي الكرخ، أسرع"^(٩).

يودي صراع الايديولوجيات ، وإبعاد معتنقيها من قبل الأنظمة الدكتاتورية كواحدة من قمع الحريات وعدم السماح لكل ما يمكن له أن يقض مضاجع هذه الدكتاتوريات، هكذا يطال النفى القسري مهدي جواد ورفيقه، اليساريان الهاربان من ظلم وبطش الحكومات في جنوبي العراق هرباً إلى الجزائر ظناً منهم بالعيس الحر والكريم، لكن صدمتهم ستكون شديدة، في بلد لا زال يعاني من آثار الاستعمار هو الآخر، وهذا ما تكشفه المحاوراة التي تجمع ما بين مهدي جواد وآسيا لخضر الفتاة الجزائرية التي أحبته وأحبها، يقول مهدي جواد عن المستعمرين

المبحث الأول

النفى

النفى أو الإبعاد هو نتيجة من نتائج ممارسة العنف، ولا سيما في الأنظمة الدكتاتورية، كما إنه أحد نتائج الحروب العنيفة التي خاضتها بعض الدول العربية أو تلك التي انتهت بالهزيمة كحرب عام ١٩٦٧ والحرب العراقية الايرانية عام ١٩٨٠ وحرب الخليج الثانية عام ١٩٩٠، والحرب الأهلية في لبنان عام ١٩٧٠، والحرب الطائفية في العراق بعد احتلال بغداد عام ٢٠٠٣ وغيرها كثير، فراح ابناؤها يتوزعون على المنافي في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد جاء النفى على نوعين: النفى القسري والنفى الاختياري.

أولاً - النفى القسري

لعل واحداً من أشكال النفى هو النفى القسري الذي يعني الإبعاد أو الهروب إلى المنافي سعياً إلى النجاة أو طلباً للحرية، ويكون ذلك بسبب من ظروف سياسية أو دينية أو اجتماعية.

ومن ذلك ما نجده في رواية (السعيد في كابوسه الأقصى) لميثم الحلو، إذ تصور الرواية حال ثلاث شخصيات تحمل كل منها اسم (سعيد) على الرغم من التباين الهوياتي الديني فيما بينهم.

ولعل المفارقة هي إن صفة السعادة لا يتصف بها أيّاً منهم، وهذا ما يعبر عنه السارد في نهاية الرواية إذ



لقد سبق النفي الذي اختارته (سارة)، النفي الذي اختارته عمتها إذ رحلت مع زوجها الرجل البسيط والفقير الذي أحبته واختارته على الرغم من عدم موافقة (الخال) على هذا الزواج، وهو الأمر الذي أسهم في تعقيد العلاقة بينهما.

تختار سارة النفي من أجل النجاة بحياتها ومحاوله الإمساك بحريتها المفقودة، يقول السارد واصفاً لحظة وصولهما إلى لندن: "قبل أن يصل العريسان إلى مدينة لندن في اليوم التالي ... كيف سمحوا للعريسين بالذهاب إلى البيت؟ كيف وصلا إلى المطار... هل من المعقول إنهما كانا قد حضرا لكل شيء..."^(١١)، وصحيح إن سارة ستعود من منفاه بعد إصابة خالها بالغيوبة، لكنها ستظل تستعيد الذكريات المؤلمة التي رافقت حياتها.

وإذا كانت (سارة) في رواية إثم سارة قد اختارت منفاه، ولأسباب اجتماعية وكنتيجة للتعصب الديني الذي كان يحمله خالها، فإن (الدكتورة وردية) في رواية طشاري تختار منفاه في فرنسا بعد أحداث الاقتتال الطائفي التي طالت العراق والعراقيين عام ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ومن دون أن تفكر بالعودة، وهي التي نشأت في العراق وعملت فيه بجد ونشاط وخدمت ناسه وأهلته، وكانت ترفض المغادرة، بل إنها كانت ترفض الانتقال إلى بغداد بعد أن قضت سنوات عدّة في معالجة المرضى في جنوب العراق (الديوانية)، ترغم الظروف الدكتورة وردية لمغادرة العراق، وتقف مذهولة أمام قصر الأليزيه متهكمة ساخرة منه ومتحسرة لما آل إليه

الفرنسيين: "لم يكونوا عادلين، لا بد إنهم حدثوكم كثيراً عن حماسة البدو وتاريخ الرعاة والفتوحات الهمجية، هكذا كانوا يسممون عقولكم، وهكذا نسوا في غمرة انتصاراتهم ماذا صدروا للعرب؟"^(١٢).

هكذا تنتهي أحلام مهدي جواد في البلد الذي هاجر إليه طلباً للحرية لكنه سيدرك فيما بعد، ليس ثمة ما يمكن له أن يحقق حلمه، فضلاً عن خيبته في الأيديولوجيا التي إعتنقها.

ثانياً: النفي الاختياري

وهو ذاك النوع من النفي الذي تختار فيه الشخصية قرار الرحيل بملى إرادتها تحت وطأة ظروف معينة، كالحرب أو الاقتتال الطائفي أو لأسباب اجتماعية وغيرها.

في رواية (إثم سارة) لنجم والي والتي تحكي قصة فتاة وهي (سارة) تعيش في بيئة اجتماعية قاسية جداً في إحدى دول الخليج، وتبعاً لهذه البيئة وأعرافها البالية والسلطة الأبوية (البطيركية) التي يمثلها خالها المتعصب مستعملاً سلطاته الأبوية والدينية، فارضاً كل أشكال تقييد الحرية ليس بدءاً من وضع العراقيين أمامها كي لا تكمل دراستها وصولاً لزواجها القسري من ابن خالها المجنون بانجازاته العلمية الفاشلة والشاذ جنسياً، وهو الأمر الذي يسهم في جزء كبير من متاعبها النفسية، وبإزاء هذا المشهد الاجتماعي المعقد، تقرر السفر إلى خارج البلاد (لندن) مع زوجها بحجة (اكمال شهر العسل)، وهناك تتكشف لها كثير من الحقائق حول زوجها.

العراق عقب الأحداث التي ألمت به .

المبحث الثاني

المحو

ونعني بالمحو ذلك الذي يطال الجسد قتلاً، وتعذيباً، وبتراً، وتغييباً، وهذا ما نلاحظه في الروايات ذات الطابع السياسي أو تلك التي تنتقد السلطات الدكتاتورية، والأخيرة تحاول سعيًا لفرض قبضتها وهيمنتها على الشعوب المغلوبة على أمرها، ليس هذا فحسب فبعض أشكال المحو الجسدي قد يكون لأسباب اجتماعية أو أسباب دينية كالمحو الذي تمارسه بعض الجماعات الإرهابية المتطرفة وغيرها .

ويمكن ان نرد المحو إلى شكلين المحو الكلي للجسد (عبر القتل والتغييب) والمحو الجزئي للجسد الذي يتم عبر (البتر أو التعذيب) .

أولاً: المحو الكلي

لقد ازدادت وعلى نحو ملفت أشكال المحو الكلي للجسد وتجسيد مشاهد القتل والتعذيب لا في الرواية فحسب، بل حتى الأفلام والألعاب الإلكترونية وغيرها، ولم تنأى عنهم الرواية التي حفلت بهذه المشاهد وبشكل يدعنا للقول بأنه لم يسبق له مثيل، وتعددت أسباب المحو الكلي للجسد كالقتل والتغييب، ففي رواية (عذراء سنجار) لوارد بدر السالم التي تتعرض لمحنة الايزيديين وقتلهم وتهجيرهم القسري من دون وجه حق - وبحسب

ينفتح المشهد الروائي بحديث السارد ” هذا هو الأليزيه إذن . رأيت قصراً رمادياً قديماً يقع في شارع متوسط يزدحم بالسيارات والمشاة، لا عساكر ببنادق رشاشة وشوارب كثة ونظرات تقدح شرراً . لا أحد يردع المارة ويهشهم إلى الرصيف المقابل ... كان المدخل بوابة خشبية بسيطة مفتوحة على مصراعيها تؤدي إلى باحة مرصوفة بالحجر... لا هيبة لهذا المكان سوى هيبة التاريخ وقرقعة الأسماء الطنانة“^(١٣).

بهذه السخرية تجابه الدكتورة وردية منفاها الذي اختارته تحت وطأة الظروف التي دفعتها لذلك، وتعكس اللغة المتهكمة المرارة والألم والحسرة التي تحملها لفراقها بلدها.

* * *



سأكون خادمة عندك لا تقتلني، أولادي صغار، وهم الآن ينظرون إلى ما يحدث ... تجمد الحشد على صوت المرأة، وهي تتضرع إلى الضابط، انقطع صوتها مباشرة حينما سمعت اطلاقاً رصاصة . سقطت المرأة على ظهرها ميتة“^(١٤).

لعل هذا المشهد الصادم الذي نقل لنا مشهد القتل / المحو الكلي للجسد، يؤشر لنا عمق المأساة التي عاشها الأرمن - وبحسب ما أرادت الرواية قوله - وإن مثل هذه المشاهد الصادمة لا تعكس المحو الكلي للجسد أو العنف فقط، بل قد تؤدي إلى ترميم الذاكرة التاريخية أو الحديث عن المسكوت عنه والمغيب من التاريخ، وهي تنقل لنا بعض الأحداث، وهو الدور الذي قد تقوم به الرواية وإن كانت عملاً تخييلياً، ولكنها تسهم في إعطاء صورة لهذا التاريخ .

ثانياً: المحو الجزئي

ويتمثل هذا الشكل من المحو ببتير أجزاء من الجسد أو تصوير مشاهد التعذيب، وقد تقف وراءه أيضاً أسباب سياسية أو اجتماعية أو غيرها .

ففي رواية (ترمي بشر) لعبده خال، والتي تصور الواقع الاجتماعي المتفاوت بين طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء، وما يتولد عن هذا التفاوت من أمراض نفسية تصاب بها الشخصية، من ذلك ما يعاني منه طارق فاضل خادم السيد، الذي ينتقل للعيش معه في القصر تلبية لطلب الأخير، بعد أن يعهد له إجراء الأعمال القذرة بحق منافسيه كي ما يبتزهم بها فيما بعد، وهو الأمر الذي يملأ قلب طارق فاضل

ما أرادت الرواية قوله - إذ ينقل لنا السارد وعبر صوت شخصية الحامل الأجواء الحزينة بعد إنقضاء عمليات القتل والتهجير الجماعي يقول : ”اهتمت الحامل وهي تشرح باقتضاب : تغيرت شنكال في هذه الشهور التي فارقتها، الذين بقوا ولم يستطيعوا الهرب... قطعوا رقبتهم بشكل سهل، ومن هرب نجا لكنه ترك بيته وماله وربما بعض من عياله ... قتلوا كثير من الخلق من دون سبب، اغتصبوا البنات والصبايا والمتزوجات معاً“^(١٣).

بهذا المشهد الحزين تنقل شخصية الحامل الأحداث التي جرت والتي راح ضحيتها الآلاف الأبرياء. وما نجده في رواية عذراء سنجار نجده أيضاً في رواية (الطيور العمياء) ل ليلي قصراني، وهي الأخرى تتحدث عن مأساة الإبادة التي تعرض لها الأرمن، لتحكي بمرارة الفقد، آثار ذلك القتل والتهجير، والرواية تصور أيضاً الموروث الاجتماعي والديني للأرمن كشكل من أشكال تثبيت الهوية وكذلك كشكل من أشكال تحدي الموت .

إلا إن الرواية كانت ضاحجة بمشاهد القتل المصحوب بالتعبير عن الألم، وفي أحد هذه المشاهد ينقل لنا السارد مشهد قتل المرأة التي كذبت بشأن جنس الطفل المولود حديثاً: ”جر أحد الجنود خلفه المرأة التي كذبت، وهي تبكي وتتوسل به أن يطلقها، فيما الضابط تبعه متأبطاً الصغير وكأنه وسادة صغيرة، رفس الجندي المرأة خلف صخرة، فسقطت، وأمرها أن تركع، أعطاه الضابط مسدسه، وأمره أن يقتلها، وهي تتوسل به أن يتركها تعيش،

قسوة وصلابة فضلاً عن أمراضه النفسية الناتجة عن التفاوت الطبقي بينه وبين سيده الذي يخدم في قصره، وزيادة على ذلك عمته التي كانت تذيبه وأمه أبشع أنواع العذاب .

تعرض والدة الشخصية لجملة من الحوادث ولا سيما بعد وفاة زوجها العراقي (وهي الانكليزية من بريطانيا)، كذلك خوفها وقلقها على إبنتها، فضلاً عن اندلاع الحرب، وفوق هذا وذاك إصابتها بسرطان الثدي مما يضطرها لإستئصاله، تقول الساردة: ”انتهت الحرب ... بعض الأسرى عادوا، وبعض المفقودين ظهروا ... وأنا صعدت سلالم الطائرة أحمل حقيبة واحدة، تتبعني أمي بثدي واحد“^(١٦)، ولعل ما في عبارة الساردة ما يشي بمقدار الخسارات التي صادفتها في الحياة، وكأن العبارة تحمل بعداً دلاليًا يوميًا للنقصان وعدم الاكتمال .

* * *

يقوم الخادم على حبس عمته وهي الشاهد الوحيد على أفعاله القذرة (وهو ما يمكنني عدّه شكل من أشكال التغييب الجسدي أيضاً)، ولكنه لا يكتفي بحبسها في غرفة بعيدة أو قفل الأبواب والشبابيك عليها، بل يحرمها من الماء والطعام، ويترك فضلاتها داخل الغرفة، وتبلغ ذروة التعذيب في مشهد بالغ العنف، حين يعلم محاولتها الاتصال وعبر الهاتف بالشرطة لانقاذها مما هي فيه، فيعمد إلى قطع لسانها، تاركاً أياها تنزف لأيام لتموت بعدها، يقول السارد: ”لم أجد صعوبة من إلتقاط لسانها والقبض عليه بأناملي توثقت منه تماماً، ووضعت رأسها تحت قدمي وفي سرعة متناهية قطعت لسانها من المنتصف، بقي الجزء المبتور عالقاً في يدي، والدم يشخب على وجهها، ويسيل في جوفها، فهمدت تماماً“^(١٥) .

تختلف رواية كم بدت السماء قريبة لبتول الخضير في تقديم حدة العنف، إذ غالباً ما يجيء أقل حدة من مثيلاته، ولعل هذا يعود إلى طبيعة بناء الشخصية داخل الكون الروائي، فهي شخصية هادئة لا تميل إلى العنف المفرط، بل إن كثير من أزماتها النفسية سواء أكانت تلك التي تحدث مع والدها أم والدتها أم حتى مع صديقها الرسام، لم تكن ردة فعل الشخصية بحدة أو غضب، بل كانت



المبحث الثالث

الإنتهاك

الذي شكل ظاهرة لافتة جداً، إذ كثيراً ما تحضر الألفاظ النابية والتعابير الجنسية الفجة وتوصيفات الممارسات الشاذة وغير المقبولة، فضلاً عن الشتم اللفظية، وإذا كان بعض الروائيين قد وظف هذا الشكل من الانتهاك بطرق فنية تخدم بناء الكون الروائي وعوالم شخصياته، فإن بعضهم الآخر قد أسرف في توظيفه فغداً شكل من أشكال العبء على النص وأفقده رصانته وقيمتة الفنية. وسنقف عند النصوص التي وظفت هذا الشكل بما يعزز أحداث النص الروائي أو يتطابق مع شخصيات الرواية.

وفي رواية (انتصاب أسود) لأيمن الدبوسي، يتخذ الروائي من الجنس وسيلة للانتقاص من الآخر (الآخر المحتل)، فضلاً عن السخرية والتهكم، إذ يخاطب السارد صديقه الفرنسي كريستوف "لا تحاول، صرخت، لقد انتهيت يا كريستوف، أو نحن انتهينا منكم، فرنسا انتهت أخلاقياً، لقد سقطتم سقطة لم تكن لكم بعدها قومه"^(١٧)، وهكذا يتم السجال بين السارد وكريستوف، إذ عبر الممارسة الجنسية يحاول إذلاله كرد فعل لاستغلال الاستعمار الفرنسي للمغرب العربي.

وما نجده عند أيمن الدبوسي نجده أيضاً في (رواية موسم الهجرة إلى الشمال) للطبيب صالح، الذي ينتقم من ضحاياه ويدفعهن للإنتحار أو الموت بعد أن يوقعهن في حبه وممارسة الجنس معهن، وإذا كان أيمن الدبوسي قد وجه سهامه نحو الفرنسيين، فإن الطبيب صالح وقد وجهها نحو البريطانيين كونهم مثلوا الاستعمار الذي احتل

ذكرت في المبحثين السابقين، إن الرواية المعاصرة، قد عرفت تزايداً مضطرباً في تمظهرات العنف، ولا سيما في تمظهري النفي والمحو، وإذا كان هذان الشكلان قد عرفتهما الرواية من قبل - العربية أو العالمية - وإن لم يكن بهذا الحضور المكثف، فإن الرواية العربية المعاصرة قد شهدت وباضطراد ظهور ما أصفه بالانتهاك والذي نعني به تخطي الحدود المرسومة لمنظومة القيم الإنسانية، إذ غالباً ما تلجأ الانظمة الدكتاتورية إلى القمع والاضطهاد والانتهاك والأخير سعياً منها إلى إمتهان كرامة الإنسان وإذلاله كي لا يخرج عن طاعتها، فتلجأ إلى كثير من الممارسات التي لا يجيزها قانون دولي أو دساتير عالمية، أو منظمات حقوق الإنسان، وراحت تبتكر طرق عدّة لهذه الممارسات.

وعدا ذلك بدا واضحاً ومن خلال استقراء عدد غير قليل من النصوص الروائية هو الاستعمال المفرط للانتهاك اللفظي كالكلمات البذيئة أو التعابير وغيرها عدد غير قليل من هذه الاستعمالات.

والانتهاك جاء على نوعين وهما الانتهاك اللفظي والانتهاك المعنوي.

أولاً - الانتهاك اللفظي

ويعد من أكثر أشكال الانتهاك حضوراً، للحد

...لست أدري هذا ليس شأني ... سألنا أحد الباعة عن سعر البيضة وكان الجواب خمسين ديناراً! تركناه ومشينا محبطين ونحن نهرب منه ومن أنفسنا ومن الشعور بالمهانة الذي يولده الفقر ويحط من قدرنا وقيمتنا إلى مستوى من هم في قاع المدينة وزواياها المعتمة المنسية“^(١٩).

بهذه اللغة الصادمة التي تصور الامتحان الذي كانت تعاني منه الشريحة الأكثر تعليماً ورقياً وهم أساتذة الجامعات، متمثلة بشخصية الدكتور نعمان، ولتؤرخ لحقبة تاريخية كانت الأكثر مرارة من بين كل الحقب التي مرّت على العراق والعراقيين .

لا يقل صنع الله إبراهيم حدّة في النقد عن حياة شرارة، ففي روايته (اللجنة) التي تعكس رؤية كابوسية قاتمة للأوضاع التي ساهمت الأنظمة الدكتاتورية في خلقها لتزيد من قبضتها الحديدية على شعوبها المبتلاة بها، تقوم الرواية على حكاية أحد الأشخاص الذي يتقدم لا متحان لا يعرف ما سببه، وفي جو عجائبي يلتقي اللجنة التي تقوم بامتحانه وهم مجموعة من الشخصيات الغريبة والأشكال غير المألوفة، وعلى الرغم من إجابته عن كثير من اسئلة اللجنة، إلا إن الأخيرة تؤجل امتحانه لجلسة ثانية لعدم قدرته على اجتياز الامتحان، وفي الوقت نفسه فإنها لا تثق بعودته فترسل أحد أعضاءها كي يقوم بمراقبته على مدار الساعة ويرافقه كظله، حتى في أشد الأمكنة خصوصية، ليتداخل الواقعي بالعجائبي وليفضي إلى تصوير مرارة الواقع الاجتماعي، إذ يسيطر الخوف والقلق والتوتر .

بلاده، ويعبر السارد عن ذلك بجملة قصيرة جداً، لكنها تحمل دلالة مكثفة وعميقة، إذ يقول: ”سأحرر أفريقيا ب...“^(١٨)، والتي جاءت كصرخة بوجه الآخر وتحطيم صورته المتعالية .

ثانياً: الانتهاك المعنوي

وهو شكل من أشكال الانتهاك الذي يقوم على انتهاك الجانب المعنوي وتحطيمه، وبالتالي فإن ذلك يؤدي إلى قتل الروح الإنسانية لدى الأفراد، وقد لا يتجسد هذا الانتهاك عبر اللغة (أي عبر عبارات محددة) وإنما يتضح من خلال الأحداث وبنائها .

تحمل رواية (إذا الأيام أغسقت) لحياة شرارة أشد أشكال الانتهاك والامتحان للفرد والانسان، وتحكي الرواية قصة الاستاذ الجامعي نعمان إبان فترة الحصار في تسعينيات القرن الماضي، إذ تتدهور الحالة المعاشية لأساتذة الجامعة والموظفين بشكل عام .

وباستثناء ذلك ثمة أمور أخرى أسهمت في إنتهاك كرامة الأستاذ الجامعي - بحسب ما أرادت الرواية قوله - ومنها المضايقات التي كان يتعرض لها في ظل الإنظمة السابقة فضلاً عن عدم السماح له بالسفر ما يعني تقييد الحريات الشخصية، إلا إن أكثر أشكال الإنتهاك المعنوي في الرواية هي وقوف الأساتذة بالطابور من أجل الحصول على ما يسد رمقهم، وغيرها كثير من الممارسات التي دلت على الانتهاك المعنوي .

تقول الساردة: ”تساءل بدري موجهاً الكلام إلى وجددي: يقال إن الجمعية ستوزع عدساً وبصلاً



الخاتمة

في نهاية هذا البحث لا يسعنا إلا أن نوجز أهم ما توصل إليه، على أن الكثير من هذه النتائج توزعت على مباحثه، ومنها:

١. شهدت الرواية العربية المعاصرة، حضوراً لافتاً لتموضع العنف فيها بكل أشكاله وتمظهراته كالنفى والمحو والانتهاك.

٢. تعددت صور هذه التمظهرات، فجاء النفى على صورتين النفى القسري والنفى الاختياري، وجاء المحو على صورتين أيضاً المحو الكلي للجسد (كالقتل والتغيب) والمحو الجزئي للجسد (كالبتير والتعذيب)، وكذا الحال بالنسبة للانتهاك، إذ جاء بصورتين الانتهاك اللفظي والانتهاك المعنوي.

٣. كانت ثمة أسباب تقف خلف هذه التمظهرات، وقد حددت هذه الأسباب بـ (السياسية، الدينية، الاجتماعية).

٤. كشف البحث أيضاً إن الدين (وكل الأديان السماوية) لم تكن السبب الذي يقف وراء هذه التمظهرات، بل إن الأسباب الدينية المرتبطة بالتعصب والارهاب والجماعات الدينية الارهابية المتطرفة.

٥. لم تقتصر تمظهرات العنف على المتخيل الروائي، بل تعدته إلى الفنون التشكيلية والسينما والمسرح.

٦. علينا أن نلتفت إلى دور المتخيل الروائي، ولا سيما المعاصر منه وأن لا يقتصر دوره على تقديم

يصف السارد اللجنة بالقول: "اصطفوا أمامي إلى مائدة طويلة بعرض القاعة ... وأغلبهم يضعون عوينات سوداء كبيرة على عيونهم ... كان يتوسطهم عجوز متهالك ذو عوينات طبية سميكة ..."^(٢٠).

وعلى هذا النحو يستمر السارد في وصف اللجنة وغرابة افرادها، سخرية وتهكماً، وما للجنة إلا توصيف مصغر للدور الرقابي للأنظمة الدكتاتورية فهي رمز يشير إليها، وما نقده للجنة سوى نقده لهذه الدكتاتوريات.

هذه أكثر تمظهرات العنف في الرواية المعاصرة، بقي أن نقول: إن حصر جميع التمظهرات أمر متعذر في حدود هذا البحث، وكذا الحال للنماذج التي درست فيه؛ إذ إن من المستحيل تغطية النصوص الروائية جميعها.

* * *

- الرؤية الكابوسية القاتمة .
- الإحالات والهوامش
- * نذكر على سبيل المثال لا الحصر، رواية الزيني بركات لجمال الغيطاني، إذ يرتحل الروائي إلى عصر المماليك لإنشاء فضاءه الروائي زمانياً، لكن الأحداث تدلنا على إن « شكل الدولة البوليسية » هو حاضر، إذ يكاد يتمثل عصر المماليك مع العصر الحالي ظلماً ودكتاتورية وعنفاً. ينظر : رواية الزيني بركات، جمال الغيطاني، دار المستقبل العربي، بيروت، ط ٣، ١٩٨٥.
١. العنف، مختارات فلسفية، فيتوريو بوفتشي، ت : ياسر قنصوة، المركز القومي للترجمة، مصر، ط ١، ٢٠١٧، ص ٧٠.
٢. العنف تأملات في وجوه الستة، سلافوي جيچك، ت: فاضل جتكر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط ١، ٢٠١٧، ص ١٥٨.
٣. العنف في الأديان، د. صادق إطيماش، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠١٧، ص ٨.
٤. الحرية والعنف، جورج زيناتي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ١، بيروت، ٢٠١٨، ص ١٠٢.
٥. أصول العنف : الدين والتاريخ والإبادة، جون دوكو، ت : علي مزهر، جامعة الكوفة، العراق، ط ١، ٢٠١٨، ص ٥٥.
٦. ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، مواجهة أثنوغرافية، تحرير بارفس قاسم - فاخاندي، ت : د. هناء خليف غني، المركز الأكاديمي للأبحاث، كندا، ط ١، ٢٠١٧، ص ١٣.
٧. ينظر: الرواية العربية ما بعد الحداثية، تقويض المركز، الجسد، تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٣، ص ٥٩.
٨. السعيد في كابوسه الأقصى، د. ميثم الحلو، دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط ١، ٢٠١٥، ص ٢٢٢.
٩. المصدر نفسه، ص ١٣٨، وينظر أيضا سفر سعيد المسيحي عقب تفجير كنيسة النجاة، ص ٢١٧، وأيضا سفر سعيد اليهودي ص ١٨٧.
١٠. وليمة لأعشاب البحر، حيدر حيدر، دار أمواج للطباعة والنشر، بيروت، ط ١، ١٩٨٨، ص ٢٣.
١١. إثم سارة، نجم والي، دار الرافدين، بيروت، ط ١، ٢٠١٨، ص ١٧٥.
١٢. طشاري، أنعام كجه جي، دار الجديد للطباعة والنشر، لبنان، ط ١، ٢٠١٢، ص ٩.
١٣. عذراء سنجار، وارد بدر السالم، دار شنغال للنشر والتوزيع، ط ٢، ٢٠١٦، ص ٣٢.
١٤. الطيور العمياء، ليلي قصراني، دار المتوسط، إيطاليا، ط ١، ٢٠١٦، ص ٧١.
١٥. ترمي بشر، عبده خال، دار الجمل، بغداد - بيروت، ط ١، ٢٠٠٩، ص ١٧٠.
١٦. كم بدت السماء قريبة، بتول الخضير، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط ٥، ٢٠٠٩، ص ١٤٣.
١٧. انتصاب أسود، أيمن الدبوسي، دار الجمل،



بيروت، ط١، ٢٠١٦، ص٤٠.

** تم حذف بعض المفردات لعدم ملاءمتها،
وبالإمكان الرجوع إلى النص كاملاً.

١٨. موسم الهجرة نحو الشمال، الطيب صالح،
دار الجيل، بيروت، د.ت ص١٤٦.

١٩. إذا الأيام أغسقت، حياة شرارة، المؤسسة
العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢، ص١١٦.

٢٠. اللجنة، صنع الله إبراهيم، دار الكلمة للنشر،
بيروت، ط١، ١٩٨١، ص١٠-١١.

المصادر والمراجع

أولاً: المصادر (الروايات)

١. إثم سارة، نجم والي، دار الرافدين، بيروت، ط١،

٢٠١٨

٢. إذا الأيام أغسقت، حياة شرارة، المؤسسة العربية

للدراستات والنشر، بيروت، ط٢، ٢٠٠٢.

٣. انتصاب أسود، أيمن الدبوسي، دار الجمل،

بيروت، ط١، ٢٠١٦

٤. ترمي بشر، عبده خال، دار الجمل، بغداد -

بيروت، ط١، ٢٠٠٩

٥. السعيد في كابوسه الأقصى، د. ميثم الحلو،

دار سطور للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٥.

٦. طشاري، أنعام كجه جي، دار الجديد للطباعة

والنشر، لبنان، ط١، ٢٠١٢.

٧. الطيور العمياء، ليلي قصراني، دار المتوسط،

إيطاليا، ط١، ٢٠١٦.

٨. عذراء سنجار، وارد بدر السالم، دار شنگال

لنشر والتوزيع، ط٢، ٢٠١٦.

٩. كم بدت السماء قريبة، بتول الخضير،

المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٥،

٢٠٠٩.

١٠. اللجنة، صنع الله إبراهيم، دار الكلمة للنشر،

بيروت، ط١، ١٩٨١.

١١. موسم الهجرة نحو الشمال، الطيب صالح،

دار الجيل، بيروت، د.ت.

* * *



١٢. وليمة لأعشاب البحر، حيدر حيدر، دارأمواج للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٨.

ثانيا: المراجع

١. أصول العنف : الدين والتاريخ والإبادة، جون دوكو، ت : علي مزهر، جامعة الكوفة ،العراق، ط١، ٢٠١٨.

٢. الحرية والعنف، جورج زيناتي، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط ١، ٢٠١٨.

٣. الرواية العربية مابعد الحداثية، تقويض المركز، الجسد، تحطيم السرديات الكبرى، د. ماجدة هاتو هاشم، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ٢٠١٣.

٤. ظاهرة العنف في المجتمعات المعاصرة، مواجهة اثنوغرافية، تحرير بارفس قاسم- فاخاندي، ت : د. هناء خليف غني، المركز الأكاديمي للأبحاث، كندا، ط١، ٢٠١٧.

٥. العنف تأملات في وجوه الستة، سلافوي جيچك، ت: فاضل جتكر، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، قطر، ط ١، ٢٠١٧.

٦. العنف في الأديان، د. صادق إطيماش، دار قناديل للنشر والتوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١٧.

٧. العنف، مختارات فلسفية، فيتوريو بوفتشي، ت : ياسر قنصوة، المركز الثقافي القومي للترجمة، مصر، ط ١، ٢٠١٧.

